شرح قصيدة العربية في ماضيها وحاضرها

نضع فيما يأتي أبياتًا من قصيدة العربية في ماضيها وحاضرها للشاعر علي الجارم وهي قصيدة مكتوبة على البحر البسيط وتتألف من تسعة وتسعين بيتًا، نذكر منها بعض الأبيات ونشرحها:

- **مَاذَا طَحَا بِكَ يَا صَنَّاجَةَ الأدَبِ / / / هَلاَّ شَدَوْتَ بِأَمْدَاحِ ابْنَةِ العَرَبِ**
  أطَارَ نَوْمَكَ أَحْدَاثٌ وَجَمْتَ لَهَا / / / فَبِتَّ تَنْفُخُ بَيْنَ الهَمِّ والْوَصَبِ

يبدأ الشاعر علي الجارم هذه القصيدة سائلًا نفسه عن تقصير بحق اللغة العربية، وهذا من إلقاء اللوم والعتب على النفس بسبب انصرافها عن هذه اللغة العظيمة، حيث يقوم بِحَثّ نفسه على التغني بهذه اللغة وبجمالها وعلى مدحها ويسميها بابنة العرب، وهو في هذا البيت وفي قوله صناجة الأدب يشبه نفسه بأعشى قيس ميمون بن قيس الذي كان يُعرف بصناجة العرب، ثم يقول الشاعر إن حال اللغة العربية في هذا الوقت مقلق فعلًا، والأحداث التي تتعرض لها يطير النوم وهو دليل على القلق والأرق، فيقول: إنه أصيب بالحزن والأسى بسبب ذلك.

- **وَالْيَعْرُبِيَّةُ أَنْدى مَا بَعَثْتَ بِهِ / / / شَجْواً مِنَ الْحُزْنِ أَوْ شَدْواً منَ الطَّرَبِ**
  رُوحٌ مِنَ اللهِ أَحْيَتْ كُلَّ نَازِعَةٍ / / / مِنَ البَيَانِ وَآتَتْ كُلَّ مُطَّلَبِ

يمدح الشاعر في هذا المقطع اللغة العربية، فيقول: إنّ اللغة العربية هي أندى اللغات وأقدرها على التأثير والتعبير، فهي قادرة على التعبير عن الحزن والفرح بقوة منقطعة النظير، فاللغة العربية هي لغة الفصاحة وهي لغة البيان وهي لغة القرآن الكريم الذي ارتضاها الله تعالى لكتابه العظيم، وهي اللغة التي يمكن أن تؤدي كل ما يطلبه الكاتب الذي يكتب بها.

- **أَزْهَى مِنَ الأَمَلِ البَسَّامِ مَوْقِعُهَا / / / وَجَرْسُ أَلْفَاظِهَا أَحْلَى مِنَ الضَّرَبِ**
  وَسْنَى بِأَخْبِيَةِ الصَّحْرَاءِ يُوقِظُهَا / / / وَحْيٌ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ همْسٌ مِنَ الشهبِ

يقول الشاعر: إنّ كلمات اللغة العربية لها تأثير جميل على من يسمعها، فألفاظها لها تأثير موسيقي ووقع رنان لا مثيل لها أبدًا، ثم يقول إنّ جاءت ونشأت في صحراء العرب وهي اليوم تحتاج من يوقظها في قلب تلك الصحراء، سواء كان وحيًا من الشمس ينزل عليها فيوقظها من نومها أو همسٌ يُطلق قرائح الناطقين بها فتجود هذه اللغة بالخير.

- **تكلَّمَتْ سُوَرُ القرآنِ مُفْصِحةً / / / فأسْكَتَتْ صَخَبَ الأرْماحِ والقُضُبِ**
  وقامَ خيرُ قُرَيْشٍ وابنُ سادَتِها / / / يَدْعو إلى اللهِ في عَزْمٍ وفي دَأَبِ
  بِمَنْطِقٍ هاشِمِيِّ الوَشْيِ لَوْ نُسِجَتْ / / / مِنْهُ الأصائِلُ لمْ تَنْصُلْ وَلَمْ تَغِبِ

يقول الشاعر إنّ سور القرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية وبفصاحة وبيان هذه اللغة تكلمت فتمكنت من القيام بالأفعال التي عجزت الرماح عن القيام بها، وهي نشر تعاليم الشريعة الإسلامية والقضاء على العصبية الجاهلية وعلى الخلافات التي كانت بين العرب، ثم يقول: إنّ اللغة العربية هي معجزة القرآن الكريم الأولى ووسيلة من الوسائل التي دافع بها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- عن هذا الدين بحجة قوية دامغة وبلسان فصيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكانت خير حجة وخير دليل على صدق الرسالة العظيمة التي بُعث بها النبي المصطفى صلوات الله عليه.

- **فارَتْ بِرُكْنٍ شَدِيدٍ غَيْرِ مُنصَدِعٍ / / / مِنَ البَيانِ وَحَبْلٍ غَيْرِ مُضْطَرِبِ**
  وَلَمْ تَزَلْ مِنْ حِمى الإسلامِ في كَنَفٍ / / / سَهْلٍ ومِنْ عِزَّةٍ في مَنْزِلٍ خَصِبِ

لقد تفوقت اللغة العربية على غيرها من اللغات في الفصاحة والبيان والبلاغة والقدرة على التعبير، فهي لغة القرآن الكريم ولغة الصور البيانية الرائعة والأساليب اللغوية والألفاظ القادرة على التعبير عن أي شيء يجول في خاطر الإنسان، فكانت جدارًا قويًا لا يتصدع وحبلًا متينًا لا يتقطع، وهي اليوم لم تزل محمية بالقرآن الكريم وبالدين الإسلامي الحنيف، فهي مرتبطة بالشرع الإسلامي ومحفوظة بحفظه.

- **يا شِيخَةَ الضَّادِ وَالذِّكْرى مُخَلِّدَةٌ / / / هُنا يُؤَسَّسُ مَا تَبْنونَ لِلْعَقِبِ**
  هنا تُخُطّونَ مجْدًا ما جَرى قلَمٌ / / / بمثلِهِ في مَدى الأدْهارِ والحِقَبِ

يخاطب الشاعر في هذا المقطع شيوخ اللغة العربية وكل العلماء في مجمع اللغة العربية، ويقول لهم: أنتم الأمل في تجديد مكانة هذه اللغة العظيمة في قلب الأجيال القادمة، فأنت من يقع عليكم الهم الأكبر والعاتق الأكبر في سبيل حفظ أمجاد هذه اللغة العظيمة وصونها من الاندثار، فهنا أنتم قادرون على أن تخطوا مجدًا عظيمًا لم يعرفه التاريخ من قبل ولن يتمكن أحد من القيام به من بعد، فاغتنموا هذا المجد واخطوا الخطوات الحقيقية في سبيل إنقاذ هذه اللغة العظيمة.